«انتقام الوردة» العمل الدرامي الأول لمخرجه

محمد رجب: المسلسل محاولة للثأر لأشياء ضاعت منا بسبب الفساد!

دمشق «القدس العربي»
ـ من بسام سفر:

تميل الدراما السورية في الكثير من أعمالها إلى الدراما الاجتماعية التي تتقاطع مع المشاهد العربي والسوري في قضاياه الاجتماعية واليومية.. ومنذ فترة دارت كاميرا المخرج محمد رجب لتصوير العمل الدرامي الجديد «انتقام الوردة».

للشاعر والكاتب محمود عبد الكريم من إنتاج «جومانة انترناشيونال»، ومشاركة عدد كبير من نجوم الدراما السورية منهم أسعد فضة، جومانة مراد، شكران مرتجى، قصي خولي، أحمد رافع، رضوان عقيلي، سحر فوزي، نادين تحسين بيك، رامي حنا.. ومن الأردن محمد المجالي وعدد من الوجوه الجديدة مثل ميرنا شلفون، وربما الشيخ، ومحمد رافع.. للوقوف على آلية العمل الدرامي في هذا المسلسل زرنا إحدى مواقع التصوير بدمشق وكانت لنا اللقاءات التالية:

البداية كانت مع كاتب النص محمود عبد الكريم الذي حدثنا عن حكاية العمل فقال: يحكي العمل قصة رجل يُقتل، وهو من رجال الأعمال، وتكتشف ابنته أنه قتل بسبب الحسد وللحلول مكانه، هذه قصة المسلسل ولكن في العمل محاور أخرى، نحاول أن نقدم عالم رجال الأعمال بصدق.. يوجد فيه كل أنماط رجال الأعمال، الذي يهتم بالسياسة والصفقات، والمهتم بالإنتاج، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الشرائح الاجتماعية البسيطة.. ونجري مقارنة أخلاقية غير مباشرة بين هاتين الشريحتين، ومشاهدة الجمهور لهذا العمل هي الحاسمة، وأعتقد أن الفكرة جديدة والأفكار جريئة.

وفي استراحة الغداء سرقنا من المخرج محمد رجب بضع دقائق فبادرنا بالقول: بشكل عام العمل هو نوع من عملية رد الاعتبار والثأر لشيء عزيز ضاع من بين يديك.. وبهذا الانتقام نحن نوسع الزاوية أكثر فأكثر لنكشف حقائق مخفية عن المجتمع ورجال الأعمال، فمنهم المسيء للوضع الاقتصادي في البلد، ومنهم رجل الأعمال الاقتصادي الذي يساهم في رفع اقتصاد البلد، وبنفس الوقت نسلط الضوء على الناس البسطاء ويومياتهم وعيوبهم وعدد من المشاكل كالبطالة والفقر والجوع والفساد والإدمان.

■ ماذا عن دور جومانة مراد كونها بطلة العمل.. وصاحبة الشركة المنتجة؟

■ «ريم» فتاة متعلمة مثقفة واعية مدركة لمحيطها، وهي ابنة لأحد الأثرياء المهمين، تربطها بوالدها علاقة حب كبيرة كونه يرى بها الوريث الفعلي لمبادئه ومسيرته.. وهي التي ستكمل المسيرة من بعده، إضافة لإنها كانت مدللة لديه، وفجأة يقتل والدها، وتبدأ عملية الانتقام بالتوازي مع إكمال مسيرة والدها البناءة في الاقتصاد.. ويمكن القول أنها الخط الأساسي في العمل.

بالطبع يوجد في العمل عامل سياسي.. إذ لا يوجد مواطن عربي أو سوري يستطيع الجلوس ساعة واحدة دون التكلم بالسياسة، لذلك كان لزاما وجود خط سياسي.

أما عن علاقتها بالشركة المنتجة فلا أعتقد أنها تتجاوز حدود تأمين متطلبات الإنتاج، والحرص على نجاح العمل.

■ كيف تتعامل مع أول تجربة إخراجية لك..؟

■ كتجربة ليست الأولى إخراجياً.. ولكن درامياً هي الأولى، ولدي رهبة وحذر فالنجاح مخيف والفشل مخيف، لأنك تمشي على خط رفيع، وإنشاء الله نصل إلى نهاية الخط بدون مطبات كثيرة.

لا أميل لتبني أسلوب إخراجي محدد، مع احترامي لجميع من يقول ذلك.. النص هو الذي يفرض عليك الأسلوب وطبيعة العمل، وفكرة العمل، حتى أن كل مشهد في العمل قد يفرض عليك أسلوبا يختلف عنه في المشهد الآخر.. ولكن كإطار عام يمكن أن أميل للواقعية.

■ البعض يقول أنك تأثرت بالمخرج نجدت أنزور كونك عملت معه سابقاً؟

■ يشرفني أن أتأثر به.. فهو أستاذ لنا وصاحب مدرسة كبيرة لها أسلوبها ونمطها في الدراما، أتمنى ذلك.

من جانبه مدير الإنتاج الفنان أحمد رافع أكد: أن العمل يحكي عن مجموعة رجال أعمال يمكن أن نسميهم «مافيا» بكل معنى الكلمة.. من المخدرات وانتهاز الفرص وتجميع الأموال بطريقة غير شرعية، مع وجود خطوط أخرى، والمخرج يقوم بكل جهده حتى يخرج العمل بأحسن صورة، والنص من نوع «المعاصر».. وبدأنا بالتصوير داخل المكاتب كونه لا يمكن التحرك بحرية داخلها فالحركة محدودة والآن نحن في مشفى «المواساة».

يقوم الفنان «صباح عبيد» بدور أحد رجال الأعمال في العمل الذي حدثنا عنه قائلاً: ألعب دوراً يمثل خط أصحاب الطرق الملتوية في جمع الأموال، من خلال الإجرام والانحراف والتعاطي مع أصحاب رؤوس الأموال، فالمسلسل يقوم بتحليل حياة محدثي النعمة وأشباه المسؤولين.

فيما قالت الفنانة المحبوبة شكران مرتجى: ألعب دور فتاة من عائلة فقيرة مكونة من أم وأخ.. تحاول هذه العائلة الحفاظ على كرامتها، وأقف إلى جانب صديقتي «ريم ـ جومانة مراد» في كل ظروفها وخصوصاً في محنتها بعد مقتل والدها.. وهذه التجربة الثانية بعد مغادرة أدواري الكوميدية في الدراما، وأنا موجودة طيلة الحلقات ولست ضيفة شرف كما كان يجري في الأعمال الدرامية السابقة.. والدور كبير ممتد على مساحة العمل كله، وأطلب من الله التوفيق بهذا العمل.

والمحطة النهائية كانت عند الفنان قصي خولي الذي قال: أقوم بدور «مروان» ولأول مرة أجسد مثل هذه الشخصية، فهو شاب مليء بالحب والعشق والغرام.. يتعرض لعدة تغيرات نوعية تبرز من خلال الأحداث أتمنى أن يكون هذا الجديد ممتعاً للمشاهدين.

جلسة حوار بين رجال الأعمال في لقطة من المسلسل (القدس العربي)

ترى أن نظام المنتج المنفذ أفسد الدراما وتطالب بإفساح الطريق للقطاع الخاص:

فردوس عبد الحميد: احتكار التليفزيون للدراما ألغى روح المنافسة بين المنتجين

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من عمر صادق:

لا تخلو ندوة أو جلسة أو تجمع للفنانة فردوس عبد الحميد إلا وكان حديثها يدور حول تأثير الدراما على الشباب.

آخر هذه الندوات عقدت بجامعة القاهرة وشنت فيها هجوما على الدراما التليفزيونية ووصفت ما تبثه بانه محاولة لتدمير عقول الشباب.

فردوس لا تنفي أن هناك «مؤامرة» لتخريب هذه العقول عن طريق ما يبثه التلفزيون من دراما سطحية وأغاني إثارة وعُري واتهمت التليفزيون المحلي والفضائيات بلعب هذا الدور باستثناء بعض الفضائيات الجادة مثل «الجزيرة» وغيرها.

نفس هذه الأحاديث كررتها فردوس من خلال لقاءات لها في جمعيات أهلية وأندية ومركز شباب. الطريف ان فردوس اتهمت المؤلفين فقط بتقديم ثقافات ضحلة الفكر تعتمد على إلهاء الشباب عن طريق اشغاله وتسليته بتقديم اعمال رديئة تخاطب غرائزه دون عقله.

■ أليس غريباً أن يكون المؤلفون هم «شماعة» هذه الأزمة؟

■ معلوم للجميع بان تهافت معظم المؤلفين وراء المادة سيقود الى عدم الاهتمام بذوق الجمهور وأصبح ما يعرض على الشاشة في الأغلب بضاعة رديئة هدفها أولا وأخيرا تقليد الغرب دون التنبه الى الخطر القادم من الخارج على عقول الشباب خاصة في ظل اختلاف العادات والتقاليد.

■ لماذا تصرين على ان معظم ما يعرض عبر التليفزيون المحلي والفضائيات العربية يدخل تحت بند «المؤامرة»؟

■ هي مؤامرة تشمل ما يقدم على الشاشة من اعمال هشة وسطحية ليست في الصالح العام وأتساءل ما المقصود من تقديمها؟ ولماذا تستهدف شبابنا بالتحديد؟ كلها اسئلة تحتاج الى تفسيرات.

■ اتهامك للمؤلفين دون سواهم بإنهم وراء هذه المؤامرة، فمن أين استقيت هذه الفكرة؟

■ اعترف بان هناك قلة ضئيلة من المؤلفين تحاول ان تسير عكس التيار، وأذكر منذ 10 أو 15 سنة عندما كان مؤلف مسلسل «ليلة القبض على فاطمة» يستغرق 3 سنوات في كتابته ليبدع عملا متميزا، المؤلف الآن يركب الموجة ويقدم 4 مسلسلات في العام الواحد وبالتالي فإن توزيع الجهد على 4 أعمال في العام سيؤدي الى تشتيت الفكرة وضياع الهدف وأصبحت النظرة الى الفن مادية بشكل عام ولم يعد هناك قيمة للمضمون الذي ننشده من جهاز مهم وخطير في حجم التليفزيون والذي من المفروض ان يأخذ على عاتقه مسؤولية مقاومة هذا التيار الهابط والسعي لتقديم اعمال تحترم عقل المشاهدين.

■ المخرج محمد فاضل اتهم بعض الجهات الاعلامية باحتكار الدراما تحديدا عن طريق قطاعات الانتاج، كيف ترين تأثير ذلك على مستقبل الدراما في مصر؟

■ في الماضي كنا نقدم مسلسلا كل اسبوع، الآن نقدم مسلسل كل يوم وعلى الاقل مسلسلين جديدين كل شهر أي بمتوسط 30 مسلسلا شهريا وبطبيعة الحال لن يمكن ان تتنوع هذه الدراما ما بين المتميز والمتوسط ودون المستوى ويجب ان تعرض برغم سوء حالتها وهذا يعود الى الجهات الانتاجية، النهاردة لا يوجد انتاج خاص لأن الانتاج الدرامي اصبح محتكرا من قبل جهات في التليفزيون وأن بدا غير هذا لأن المسؤولين عن الانتاج الدرامي جهات حكومية.

■ وهل ترين أن هذا مخالفا للقانون؟

■ بالتأكيد مخالف، لأن هذه الجهات «الحكومية» تحتكر العديد من الاعمال التي انتجت على درجة عالية من الجودة والاتقان مثل «ليلة القبض على فاطمة» و«أخو البنات» وكلها انتاج قطاع خاص وليست من انتاج التليفزيون فكانت هناك مساحة شاسعة للتنافس.

أما الآن فالانتاج الدرامي اصبح مسؤولية التليفزيون فقط وقد قاموا بجمع ما تبقى من منتجي القطاع الخاص وأدخلوا ما يعرف بنظام المنتج المنفذ بمعنى ان التليفزيون يقوم بإعطاء الأموال لهذا المنتج لانتاج عمل درامي فيضيع نصفها في جيبه وينتج العمل بما يبقى معه من أموال، وطبعا سيؤدي هذا الى تدهور مستوى الانتاج وما دام التليفزيون يصر على موقفه بعدم افساح المجال للقطاع الخاص فليتحمل النتائج كاملة، والتي أراها انها تدخل مرحلة كارثية.

■ كيف أثر ضعف بعض المسلسلات الدرامية على تسويقها في البلاد العربية؟

■ بعد احتكار الدولة للدراما لم يعد العمل الفني مهماً فلا يوجد أحد ينتج أو يقوم بالتسويق غيرهم، الدول العربية اعادت لنا منذ 3 أعوام ما صدرناه اليها من اعمال خاصة بمسلسلات شهر رمضان مثل «العمة نور» بدعوى انها ضعيفة المستوى، وأرى ان التليفزيون ألغى المنافسة الشريفة بين المنتجين لتقديم دراما راقية تحترم عقول ووجدان المشاهدين.

■ الدراما التاريخية، هل تلقى نفس المعاملة من التجاهل والتجهيل؟

■ ليست كلها تتعرض للتجاهل، فهناك اعمال تاريخية تحظى بالاحترام لأنها على مستوى جيد من الأداء المطلوب مثل «ناصر 56» و«كوكب الشرق» ومسلسل «مصر الجديدة» الذي يحكي عن حركة التحرر الوطني في بداية القرن الـ20 ويغطي الفترة التاريخية من بداية القرن حتى عام 1947 عام رحيل هدى شعراوي فهذه الأعمال تلقى الاحترام من الجميع لجدية موضوعاتها وأهميتها على المستوى التاريخي أو القومي.

فردوس عبد الحميد في احد ادوارها التلفزيونية (القدس العربي)

ستريندبيرغ اهم كتابها المسرحيين وصالاتها تقدم كل انواع الزاد الثقافي:

ستوكهولم عاصمة الفن والجمال ومن يأتيها لا يرغب في مفارقتها!

ستوكهولم ـ «القدس العربي»
ـ من عصمان فارس:

من يأتي الى عاصمة الحب والجمال، وعاصمة الفن والحرية والديمقراطية لا يرغب ان يفارقها يعشقها ويدوب في غرامها، مدينة الكاتب المسرحي الكبير اوغست ستريندبيرغ والمسرح الحميمي intimteaker تغوص في اعماق العاصمة فتجد وسائل الراحة والمتعة والزاد الثقافي بدءا من البيت الثقافي kuiturhuset وما يحويه من مسارح صغيرة وكبيرة ومسارح للرقص الحديث ومكتبات للكبار والصغار، وفرقة مسرح مدينة ستوكهولم stadsteater وعروض مسرح الريبرتوار والذي يتميز به المسرح السويدي.

وكذلك كل فنون التجريب المسرحي الاوروبي والمسرح الاستعراضي revyteater ودار الاوبرا الملكية kungligao-pera واوبرا الشعب folkopera عروض مستمرة طوال السنة وكذلك دعوة فرق عديدة من كل اوروبا لتقديم عروضها في ستوكهولم، ففي العاصمة السويدية ستوكهولم هناك احصائية تقول هناك 165 قاعة وفرقة مسرحية. وبناية مسرح الرقص في ستوكهولم تستضيف جميع الابداعات الراقصة وفرق البالية من جميع انحاء العالم وكذلك تقام فيها عروض لافلام سينمائية متميزة عالميا لها علاقة مباشرة بالرقص الحديث. اما الجانب الرائع لفرقة المسرح الوطني riksteater واقامة مهرجان ايام المسرح السويدي ودعوة جميع فرق المحافظات في ستوكهولم واقامة الندوات والحلقات الدراسية في عالم المسرح.

والشيء المبهر والمدهش هو بناية المسرح الملكي بكل قاعاتها وعروضها المميزة هناك تلتقي بكل النجوم في المسرح والسينما ويصادفك الملك او الملكة او رئيس الوزراء وكل الشخصيات والنجوم وهم من رواد المسرح السويدي.

وفي ستوكهولم هناك في كل شارع وفي كل بناية ومنطقة سكنية هناك فرقة مسرحية وكثرة المسارح، والثقافة في الشتاء مثل سقوط الثلج لا يستطيع المثقف الا ان يحيا تحت سقفهما ويا لكثرة المهرجانات الثقافية والمسرحية والموسيقية والبالية والاوبرا والرقص الحديث والعروض السينمائية كل بلدان العالم تجتمع في ستوكهولم من افريقيا ـ وامريكا الشمالية والجنوبية، ومهرجانات المسرح الاوروبي، والمسرح الروسي.. والصفة الجميلة والمميزة في انسانية المسرح واحترام الجمهور للفنان والعكس صحيح، في كل عرض مسرحي نجد السجادة الحمراء مفروشة للترحيب واستقبال الجمهور لمشاهدة المسرحية اعتزازا باليوم الاول للعرض واحتراما لجمهوره.

وتستقبل ستوكهولم كل الابداعات المسرحية المدهشة في المسرح الانكليزي سنويا والمسرح الايطالي والفرنسي واليوغوسلافي، والروسي، والالماني، والبلجيكي، والبولوني، فعلى سبيل المثال المسرح الشرقي orientteat-er تعرض فيه كل تجارب وموسيقى الشعوب العربية والهندية ومن افريقيا، باليه، اوبرا، رقص حديث، وتصل احيانا الى اكثر من 150 عرضا منوعا وليست لي القدرة ولم استطيع الكتابة عن جميع العروض ووصفهما فقط بالكلمات ففي المسرح السويدي نجد كل عروض مسرح الريبرتوار ribertwar بدءاً من ستريندبيرغ، شكسبير، ابسن، ميلر، موليير، تشيخوف بيراندلوا، داريوافو، يتنسي وليام، هارولد بينتر، لارس نورين، مكسيم غوركي، دستويفسكي، توفيق الحكيم، كافكا، لوركا، وتشجيع الكتاب الشباب وتقديم عروضهم. وهناك تجارب المخرجة ايفابرغمان ابنة المخرج الكبير انغمار برغمان من خلال تجاربها الاخراجية وتقديم عروض مسرحية مع فرق عربية وكتاب عرب وتقديم عرض مسرحية في اللغتين السويدية والعربية.

واقول كشاهد شهد المسرح السويدي في انضج والمع اعماله واراقب الجمهور يختار العروض المناسبة نسبة للمخرج، او المؤلف، او الممثل او الممثلة اي النجوم. الشعب والحكومة يكنون الاحترام والاهتمام بالمسرح ويعتبرونه جزءا من تاريخهم وثقافتهم وحضارتهم.

هناك الدعم المالي والمعنوي والاعلامي للمسرح وكل الفنون من قبل الحكومة وكل الشركات والمعامل الرئيسية ومن البلديات kommun «الكومون» وكل المهتمين يدفعون المال خدمة لثقافة المسرح، والفنون تحظى بأكثر من الدعم، وعملية بناء واصلاح المسارح واستغلال بنايات قديمة لترميمهما وتشكيل فرق مسرحية وتجهيز مسارحها بكل المعدات والتقنيات الحديثة، والاهتمام بالمسرح في المدارس والانشطة الفنية والقسم الدرامي والمسرح في كل المدارس الاعدادية، وصيانة المجمعات المسرحية، من المسرح الحكومي، والوطني، والملكي، والمالية، والاوبرا، ووزارة الثقافة.

ونقابة المسرحيين السويديين تدعم كل الفنانين والفرق وهناك ضمان اجتماعي ورعاية ودعم مالي لكل فنان عاطل عن العمل وتعويضه براتب شهري. تصرف الملايين من الاموال دعما للثقافة والفنون وخاصة امسرح شركات كبيرة ومعروفة مثل الفولفو، اسكانيا ـ وشركة الادوية زنيكا تدعم المسرح والاوبرا وكذلك الرقص والباليه ويعتبرون الفن روح الامة وثمرة بناء حضارة الامة. الحياة نابضة بالمسرح وبالعروض الفنية حتى في فصل الصيف هناك مسرح صيفي تقدم فيه عروض ترفيهية للعوائل والاطفال في كل حدائق ستوكهولم الجميلة وكل العروض مجانا ويشارك فيها كل نجوم المسرح والتلفزيوني السويدي.

واجهة المسرح الملكي في ستوكهولم

فضائيات

نوال السعداوي ما تزال تريد كسر الحدود والبورصة «ميسر» العرب الجديد!

هويدا طه*

■ برنامج «زيارة خاصة» على قناة الجزيرة برنامج هادئ.. يختار عادة شخصيات عربية لها تجربة خاصة مميزة في مجالها، يزورها في موقعها لتحكي للمشاهدين عن تجربتها في الاشتباك مع الحياة والناس والسلطة والنوازع البشرية المختلفة، مقدم البرنامج سامي كليب يتمتع بأدب جم وهدوء غير مفتعل وطريقة مميزة في طرح أسئلة قصيرةٌ وذكية، وهو ما يتيح للمشاهد فرصة الالتحام مع شخصية الحلقة (سواء بالرفض أو بالقبول لكل ما تقول)، فهو لا يقاطعها إلا نادرا بعكس برامج أخرى.. تجد نفسك (تشعر بالراحة) عندها تتحول عنها وعن صداع وذاتية مقدميها.. الذين لا يتحكمون برغبتهم الدائمة في الاستيلاء على الوقت لأنفسهم، حلقة «زيارة خاصة» هذا الأسبوع كانت مميزة.. كانت الزيارة للدكتورة نوال السعداوي، وهي تلك الطبيبة الناشطة المتمردة التي تريد كسر الحدود.. رغم تخطيها السبعين من العمر، حتى أن أحد كتبها التي تزيد عن أربعين كتابا يحمل «كسر الحدود» عنوانا لمحتواه، تلك (الحدود) هي التي لم يكن وقت البرنامج كافيا لذكرها كلها.. الحدود التي تجعل النساء العربيات مكبلات بثقافة متخلفة.. تريد من المرأة كل شيء وتخشى منها ـ في نفس الوقت ـ بشكل هستيري عجيب! ثقافة يختصرها المثل الشامي (نفسي فيه واتفو عليه)! (هم) يخافون منها ويدعون الخوف عليها.. فتكون النتيجة أنهم يجعلون من فرض الوصاية عليها ضرورة بديهية، (هم) ليسوا فقط الرجال كما يظن البعض.. (هم) هذه تشمل رجالا في المجتمعات العربية يتملكهم التناقض والزيف في نظرتهم للأنثى.. تلك النظرة التي لا تقر بإنسانيتها، وتشمل أيضا نساء في تلك المجتمعات يقبلن ويستسلمن لثقافة تجعل منها شيئا قابلا للاستعمال، الدكتورة نوال متمردة أصيلة على هذا التناقض في ثقافتنا تجاه الأنثى.. تصدت للسلطة وتصدت للقهر وتصدت للخرافة وتصدت للظلم.. وهي أيضا لم تقع فريسة الانبهار بوضع المرأة (الأخرى) غير العربية.. فقد لمست كذلك ما تعانيه المرأة الغربية رغم مكتسباتها.. تماما كما لمست معاناة المرأة العربية من التكاتف غير الشريف بين السلطة والدين والثقافة لقهر إنسانيتها، غضب منها أساتذة في جامعة بمدينة نيويورك ـ كانت تدرس فيها كأستاذ زائر ـ عندما انتقدت تسليع المرأة الغربية وتعرية جسدها بهدف الربح.. وغضب منها كذلك أشاوس وأساطين الثقافة العربية ـ الإسلاموية لانتقادها هوسهم بتغطية المرأة العربية ـ وهي التي بحوزتهم ـ من رأسها إلى أطراف أصابع قدميها، قالت لمقدم البرنامج: «أنا ضد الحجاب وضد العري»، تتابع طبيبتنا المتمردة وهي تروي قصص اشتباكاتها الكثيرة مع ثقافة قهر المرأة داخل البيت وخارجه.. وتجد نفسك أمام تساؤل.. من أين جاءت هذه المرأة بكل تلك القوة الممتدة منذ طفولتها وحتى ما بعد السبعين من العمر؟ هل هو الوعي وحده أم الوعي يدعمه (الاستغناء)؟ هل يكفي (وعي) المرأة بأنها مقهورة.. وعينا بأننا مقهورون.. أم نحن بحاجة كذلك إلى الاستغناء عمن يساوم على الاستقلال بلقمة العيش.. حتى نتمكن من «كسر الحدود»؟ من بالضبط الذي يساومنا؟ هل هم أشخاص معينون أم ثقافة متهالكة أم دولة راكدة أم كتل متراصة من قوانين القرون ما قبل الوسطى أم .. أم بقايا «همس الجواري» بداخلنا؟ أين نحن يا ترى من تلك المعادلة؟ حتى تلك الطبيبة المتمردة ورغم ما عاشته من اشتباكات جراء تمردها.. لا يرضيها ما كسرته من حدود، قالت في نهاية الحلقة: «نفسي أكسر حاجات كتير» فتخلى مقدم البرنامج عن أسئلته بالعربية الفصحى وقال لها بلهجته الشامية المحببة وهو مندهش: «لسه عندك شي بعد ما كسرتيه؟» أجابته.. «هو أنا كسرت حاجة.. لسه.. لسه عايزة أكسر حدود كتير».. ليتنا يا دكتورة نتمكن من كسر بعض أغلالنا مثلما فعلت.. لكنك كنت أسعد حظا.. أمسكت بالمعول في لحظة تاريخية.. كانت مجتمعاتنا فيها رغم عنادها معك.. أكثر استعدادا لتقبل تكسير حدودها، إذ كانت تعيش «طفرة» الحلم الغامض بالنهضة والتحرر.. تلك الطفرة التي رجعت عنها سريعا.. معلنة ندمها على «أضغاث أحلام» التحرر والنهضة وكسر الحدود.. فولدنا نحن مكبلين.. لتنتظرنا في أواسط العمر ثقافة.. تفخر بأنها تعيش.. عز زمن الحجاب!

الخروج من جلباب أمي

■ وبمناسبة الحديث عن د. نوال السعداوي بصفتها (متمردة أصيلة).. فإن امرأة أخرى يمكن التطرق إليها حول مسألة (أصالة التمرد).. ففي أحد حلقات برنامج «العاشرة مساء» كانت د.منى حلمي بين الضيوف.. للحديث عن مبادرتها بتغيير اسمها إلى (منى نوال حلمي) في إعلان منها عن رغبة في تكريم الأم.. بإضافة اسمها إلى اسم أبنائها بجوار اسم الأب، بالطبع المحاولة ذاتها ـ على غرابتها ـ تصب في دعوة محمودة لإثارة التفكير فيما يعتبر ثوابت ضمن منظومة قيمية ذكورية متكلسة في ثقافتنا، لكن.. بغض النظر عن مدى الحاجة الفعلية لطرح قضية اسم الأم ـ على الأقل في اللحظة الحالية ـ فإن هناك أشياء تفوت الدكتورة منى على أهميتها.. منها أنها لم تستطع أن تقنع الكثيرين أنها (خرجت من جلباب أمها) أو أنها مستقلة بما يكفي عن أمها.. الدكتورة نوال السعداوي، إذ أن نوال هي متمردة أصيلة وليست استنساخا من أحد.. هي مناضلة جريئة وشجاعة بإبداعها هي.. بينما تجد نفسك كلما قلت اسم منى حلمي.. لابد أن تلحقه بعبارة (بنت الدكتورة نوال) حتى يمكن للمستمع أن يكوّن انطباعا، لم تستطع منى حلمي ـ رغم مشروعية مطالبها وحتى تمردها ـ أن تفهم أهمية (الحوار في وسائل الإعلام) لدعم تيارها التقدمي الذي تنتمي إليه، كما فهمته الدكتورة نوال ـ الأم ـ التي تتحدث بثقة وهدوء وفهم واع لأسرار تأثير وسائل الإعلام، فقد كانت د. منى الابنة تثور كثيرا وتقاطع الآخرين كثيرا.. حتى أجهدت من شاهدها.. فضاق بها وبطريقتها في الحكي.. وحتى بجلستها التي لم تراع كثيرا أن النفور من المبشر بالأفكار.. ينفّر من الفكرة ذاتها!

حمى في الفضائيات العربية

■ تتنقل بين القنوات الفضائية المختلفة ليلا فإذا ببرنامج هنا وآخر هناك يناقش هموم البورصات العربية.. تفتح عينيك في الصباح فإذا بالأمر يتجاوز مجرد برامج تناقش أرقام البورصة إلى دفعات من قنوات بأكملها.. قنوات جديدة.. تتخصص في البورصة ولا شيء غير البورصة! أسهم خضراء وحمراء.. طالعة ونازلة.. وأرقام بكسور عشرية حاسمة.. تتعجب كيف تتحول تلك الكسور التافهة إلى ملايين في جيوب البعض وذبحات في قلوب البعض الآخر! تسمع العديد من وجهات النظر عن السهم القائد والسهم الظافر والسهم الحاسم.. تسمع العديد من الآراء عن التلاعب بالبورصة والمستثمرين الصغار والمستثمرين الكبار وغير ذلك من مصطلحات بورصوية عجيبة.. تسمع أناسا يتحدثون عن أسعار تلك الأسهم بينما هم أنفسهم كانوا حتى وقت قريب لا يظهرون اهتماما حتى باقتصاد منزلهم.. فما بالك بالبورصة وسوق الأوراق المالية! الكوافير.. البقال.. سائق التاكسي.. حتى بياعين الخضار! كيف أصبحنا فجأة (مستثمرين) ونحن حتى وقت قريب كنا نجمع من بعضنا قروشا معدودات.. كي نتكافل مع بعضنا البعض في الزواج وتسديد الديون الضئيلة وأقساط التليفزيون والثلاجة؟ الأمر يثير رغبة في معرفة أبعاد المسألة.. إيه حكاية البورصة دي؟ ما هو دور (الإغراء التليفزيوني) للبؤساء حول أحلام الثراء السهل السريع؟ وكيف انعكست عولمة رأس المال على من لا مال أصلا لديهم؟ هذا باع ذهب زوجته وبناته.. وهذا باع التاكسي مصدر رزقه.. وذلك باع أرضه وهؤلاء اقترضوا من البنوك.. الجميع فقدوا توازنهم وفرطوا في الأصول التقليدية حتى يشتروا السهم القائد والسهم الظافر حتى النساء ربات البيوت خبر طريف في سلسلة برامج الأخبار الطريفة نقل أن رجلا سعوديا مزواجا لديه من الزوجات أربع.. قرر أن يتخلص من صداع عراك الضرائر فعلمهن بيع وشراء الأسهم.. وما هي إلا أشهر قليلة حتى تمتع بالهدوء.. بعد أن نقل طاقتهن إلى جبهة بعيدة عن أرضه. السؤال هو كيف نشأت البورصة عند من ابتكرها.. وكيف تفجرت في أرضنا؟ بالبحث والتحري في الأصول التاريخية لتلك الأسطورة الرهيبة.. تكتشف أنها أصلا نشأت كوسيلة (تعاونية) في عصر النهضة بين مجموعات من أفراد يملكون القليل فأرادوا (التشارك) لإنشاء الشركات والمصانع المنتجة.. كانت إذن وسيلة جيدة لإنشاء تعاونيات توزع (بطريقة ما) الثروة على العديد من الأفراد بدلا من تركزها في يد فرد واحد.. يحتكر بأمواله الطائلة السوق والشركات والعمليات الإنتاجية.. أي أنها وسيلة (إنتاجية).. أو على الأقل هكذا نشأت.. فأين العرب من هذه الروح (الإنتاجية) التعاونية؟ العرب الذين تشي أصولهم التاريخية بأنهم إلى جانب التجارة لم يعرفوا أوجها أخرى للاقتصاد إلا (الميسر والربع)، هل رأيت أحد هؤلاء الذين يسمونهم «المستثمرون الصغار» يعرف حتى ماذا ينتج ويبيع سهمه الظافر الذي اشتراه؟ هؤلاء يتلاعب بهم من يسمون «المستثمرون الكبار» كي يأخذوا قروشهم القليلة التي باعوا مصادر رزقهم للدخول بها في (لعبة قمار) يا صابت يا خابت.. وطبعا هي دوما مع هؤلاء الصغار تخيب! مرة أخرى.. لا تعرف هل تلوم أفرادا أم ثقافة؟ أم تلوم الفضائيات التي بدلا من أن تعرض نماذج (التعاونيات الإنتاجية) من تجارب الأمم الأخرى.. نقلت ثقافة الهوس بالربح السريع.. لو أن الفضائيات اهتمت بتجربة (العدو الإسرائيلي) عن الكيبوتزات التعاونية التي أسسها لحظة اغتصب الأراضي العربية.. لأدركنا سبب تفوق إسرائيل الاقتصادي علينا، لكننا نهتم بهذا القمار الذي يمارسه العرب بالغريزة المشبعة برغبة في لعب الميسر.. لا برغبة في التشارك والتعاون والإنتاج أي إنتاج والأرض تباع من أجل القمار؟ أقول قولي هذا وأنا أعاني من هوس وصل إلى منزلي بتلك الشاشة المستطيلة وأسهمها الحمراء والخضراء، وأذكر صديقة خفيفة الظل عندما سألها أحد الأصدقاء عن معلوماتها عن البورصة قالت: «كل اللي أعرفه عن البورصة إنها.. مرات البرص»!

---

* كاتبة من مصر
howayda5@hotmail.com

وارضيات